أستاذ فى النظرية والتطبيق

جيمس ل . رو يحاور خبير الاقتصاد **جويلرمو كالف**

James L. Rowe interviews economist **Guillermo A. Calvo**

عندما كان جويلرمو كالفو طالبا شابا فى بيونيس آيرس فى أواخر الخمسينيات من القرن الماضى، كان يشعر باليأس من أن باستطاعته فهم الاقتصاد مطلقا. وكان يدور قدر كبير من الحديث عن الاقتصاد فى البيت لأن والده كان يعمل فى البنك المركزى. ولكنه بقدر ما حاول فهمه، فإنه لم يستطع ذلك، وخلص فى وقت ما إلى أن الاقتصاد يفوق قدراته. ومع ذلك، فقد ثابر، وقال إنه خلال حضوره دورة تمهيدية فى الاقتصاد «بدأ فجأة يفهمه ويدرك كم هو جميل». وفيما بعد، وبتوجيه من خوليو أوليفيرا، الذى كان حينذاك رئيسا للبحوث فى البنك المركزى حيث ظفر كالفو بالتعيين من خلال مسابقة، ذهب إلى مكتبة البنك، وأحضر قاموسا انجليزيا بجانبه، وأخذ يقرأ ويقرأ ويقرأ بصورة مكثفة الأبحاث الاقتصادية والرياضية المكتوبة بلغة «أعرفها بالكاد».

بمن فيهم كارمن رينهارت وليوناردو ليدرمان. فقد حاجوا بأن البلدان لم يكن يتدفق عليها التمويل الأجنبى لأنها تتبع سياسات نقدية ومالية سليمة، ولكن لأن عوامل خارجية، مثل المناخ العالمى الحميد وأسعار الفائدة المنخفضة فى الولايات المتحدة، كانت تدفع رأس المال للبحث عن عائد أعلى. وقد افترضوا فى بحث مثير للجدل فى عام ١٩٩٣، أنه إذا تغيرت تلك العوامل الخارجية، فإن الاستثمار فى بلدان الأسواق الناهضة ـ سواء كان معتدلا أو زائدا ـ يمكن أن يولى الأدبار فجأة.

ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى تغير المناخ الدولى، وأثبت كالفو وزملاؤه أنهم على حق إلى حد كبير. فبدءا من المكسيك فى ١٩٩٤ وانتهاء بالأرجنتين فى ٢٠٠١، اهتزت سلسلة من بلدان الأسواق الناهضة، كثير منها فى آسيا، من جراء لطمة ما وصف بأنه «توقف مفاجئ» ـ انقطاع كبير، غير متوقع، وواسع النطاق فى تدفق رؤوس الأموال، لم يكن يرتبط غالبا بالأساسيات الاقتصادية (انظر الإطار، ص ٦). ونتيجة لذلك، تعلم واضعو السياسة فى البلدان النامية درسا مؤلما هو: أنهم سيفشلون بالتأكيد تقريبا فى جذب الاستثمار الأجنبى، إذا اتبعوا سياسات سيئة، ولكن الضمان كان قليلا بأنهم لن يواجهوا المصير نفسه إذا انتهجوا سياسات جيدة. وسرعان ما وصفت النيويورك تايمز كالفو بأنه «نبى الدينونة المالية» لأنه تنبأ بصورة صحيحة بانهيار المكسيك فى ١٩٩٤. وعلى الرغم من أن آخر بحث له يدرس أحوال الاقتصادات «الآخذة فى التعافى»، فإن كالفو، البالغ من العمر ٦٥ عاما، لا يزال يركز كعادته على إمكانية حدوث أزمات فى الأسواق الناهضة.

لقد أثمرت مثابرته. وأصبح كالفو واحدا من أبرز الباحثين فى كل من نظرية الاقتصاد الكلى الحديثة واقتصاد الأسواق الناهضة، خاصة فى أمريكا اللاتينية. وفى حديثه أمام مؤتمر لصندوق النقد الدولى لتكريم كالفو عام ٢٠٠٤. قال اندريه فيلاسكو، الذى كان أستاذا فى هارفارد حينذاك، ووزير مالية شيلى حاليا، إنه إذا كان هناك «شخص (واحد) مسؤول عن جعل الاقتصاد الحديث يؤثر على مشكلات البلدان الواقعة جنوب نهر ريو برافو، فإن هذا الشخص هو جويلرمو كالفو». وقد كان العمل النظرى المبكر لكالفو فى صميم التطورات الثلاثة التى حددها الاقتصاديان ف. ف. تشارى وباتريك ج. كيهوى أخيرا باعتبارها مفاتيح للنظرية الاقتصادية الكلية المطورة خلال الثلاثين عاما الماضية: النقد الذى يجسد توقعات الناس بشأن السياسة، والرؤى المتبصرة بشأن عدم الاتساق الزمنى وقضايا المصداقية المرتبطة بذلك، ووضع النماذج الأفضل للاقتصاد لتفسير تشوهات مثل «الأسعار الجامدة».

وقد كانت رسائل كالفو السياسية اللاحقة تنذر بالسوء وتثير عادة خلافات مع كثير من زملائه، خاصة فى فترة الازدهار فى أوائل التسعينيات من القرن الماضى، عندما كان معظم الاقتصاديين ـ بما فى ذلك من يعملون فى صندوق النقد الدولى؛ حيث كان يعمل كالفو ـ يعتقدون أن مدى جودة إدارة بلد ما لسياساته الاقتصادية أمر يحدده مدى جودة معاملته المستثمرين الأجانب. وقد ذكر كالفو أن الحكمة التقليدية السائدة حينذاك كانت هى «إذا أديت واجبك المنزلى، فإن أسواق رأس المال ستقف إلى جانبك دائما».

ولكنه اختلف مع ذلك، هو وكثيرون من زملائه فى صندوق النقد الدولى

الجمع بين العمل الأكاديمى والسياسة

خلال ٣٠ عاما من مسيرته المهنية، تنقل كالفو بين العمل الأكاديمى والمنظمات ذات التوجه للسياسة. وفى نهاية ٢٠٠٦، اختار أن يترك ساحة الشجار السياسى مرة أخرى، مستقيلا بعد ست سنوات من العمل كرئيس للخبراء الاقتصاديين فى بنك التنمية للبلدان الأمريكية، ليعود ـ مع زوجته سارة، الخبيرة الاقتصادية ـ إلى جامعة كولومبيا فى نيويورك، حيث بدأ مسيرته المهنية منذ ثلاثة عقود خلت، وكان قد حصل أخيرا على درجة الدكتوراه من جامعة ييل. وعلى مر السنين، عمل أيضا أستاذا فى جامعتى بنسلفانيا ومريلاند، كما شغل فى هذه الفترة مناصب الباحث والأستاذ الزائر. وقد ظل طويلا له تأثيره فى مناقشات السياسة ـ من صندوق النقد الدولى،

وبنك التنمية للبلدان الأمريكية والدوائر الأكاديمية. ومع ذلك، لم يكن لكالفو سوى جولة قصيرة فى مجال صنع السياسة، عندما عمل مستشارا لوزارة المالية فى الأرجنتين فى ١٩٩٦، ولم يدم ذلك سوى شهرين.

وبصفة عامة ينقسم جدول أعمال كالفو فى مجال البحوث إلى فصلين. ففى النصف الأول من مسيرته المهنية، كان منظرا يستلهم العالم من حوله، وكان فى النصف الثانى خبيرا اقتصاديا ذا توجه نحو السياسة وله نزوع نظرى.

وقد وصف بابلو جويدوتى، عميد مدرسة شؤون الحكم فى جامعة توركواتو دى تيللا فى بوينس آيرس والزميل السابق له فى صندوق النقد الدولى، كالفو بأنه «اقتصادى له عقلية نظرية للغاية، يهوى النماذج البسيطة والدقيقة». وعلى حد قول كالفو نفسه فإن «القاعدة التى اتبعها دائما هى: بسّط، بسّط، بسّط. ففى النهاية، فإننا نصنع النماذج، وليس الواقع».

ومع ذلك، فقد كان الواقع هو مصدر إلهام كالفو على الدوام، حسب تعبير ارنستو تالفى، رئيس معهد سيريس للبحوث فى أوروجواى. فهو لم يكن يصيغ النظرية من أجل النظرية فى حد ذاتها. فحتى بحث كالفو الأول، وهو مذكرة نظرية لأعلى حد عن استخدام القدرة التى ظهرت فى ١٩٧٥ فى مجلة أمريكان إيكونوميك ريفيو، استحثته الظروف القائمة فى كولومبيا، حيث عاش عدة سنوات من قبل.

وفى بعض الأحوال، ربما حفزت قضايا غير اقتصادية العمل التنظيرى لكالفو، وقد ذكر كالفو أن لعبة كان يلعبها مع أشقائه الصغار كانت أحد مصادر الإلهام لإسهامه فى ١٩٧٨ فى الدراسة التى كانت قد ظهرت حديثا حينذاك عن عدم الاتساق الزمنى - وهى فكرة تفسر كيف يمكن لصانعى السياسة حسنى النية أن يضعوا سياسات سيئة رغم ذلك. ويتذكر كالفو أنه عندما كان وهو طفل يرى أخاه وأخته صورة له عندما كان أصغر سنا ويسألهم «من هذا»؟ كانا يجيبانه «هذا أنت». فيرد «لا، لست أنا» شارحا لهما، أنه الآن شخص مختلف فى ظروف مختلفة عما كانت عليه عند التقاط الصورة. «فمن الواضح تماما أنك تستطيع أن تفكر فى البشر باعتبارهم سلسلة متعاقبة» من عمليات التجسد، وأن ذلك جعل من السهل عليه فهم كيف يستطيع واضعو السياسة تقويض استراتيجيتهم طويلة الأجل. وسبب ذلك أن المسئول الذى يتخذ القرار اليوم يواجه ظروفا مختلفة عما كانت عليه عندما قدم الوعد فى البداية.

وفى عام ١٩٧٧، بيّن ادوارد سى . بريسكوت وفين ى . كيدلاند أن الحكومة التى تصوغ خطة سياسية طويلة الأجل (نقدية أو مالية) ربما تغير خطتها فيما بعد، إذا توافرت لها الفرصة، لتعكس تغير الظروف. وبعد ذلك بعام، بيّن كالفو، وهو يعمل مستقلا عن بريسكوت وكيدلاند (اللذين حصلا فى ٢٠٠٤ على جائزة نوبل، جزئيا على عملهما حول عدم الاتساق الزمنى) أنه من المرجح أن تتخذ الحكومة هذه القرارات التقديرية غير المتسقة «حتى على الرغم من أن للحكومة الأفضليات نفسها تماما» مثلما للجمهور.

والنقطة المهمة بالنسبة لكالفو هى أن صانعى السياسة، بمحاولتهم اتخاذ أفضل القرارات التقديرية فى أى وقت من الأوقات - «ليعيدوا تحقيق الوضع الأمثل» كما يقول الاقتصاديون - يمكن أن ينقضوا وعودهم السياسية طويلة الأجل، مما يتسبب فى فقدان مصداقيتهم. ذلك أنهم بمجرد انحرافهم عن التزامهم، مثلا باستراتيجية لمحاربة التضخم، مهما كانت وجاهة مبرراتهم، لا يعود الجمهور يثق بهم. إن توقعات الناس تتغير، وعندئذ يعملون على حماية أنفسهم، بالمطالبة بأسعار فائدة أعلى توقعا لحدوث تضخم أعلى. ويضطر ذلك صانعى السياسة إلى اتخاذ مزيد من الخطوات التى تؤدى للهزيمة الذاتية والتى يمكن أن تقوض السياسة طويلة الأجل التى كانت جيدة من قبل.

وليس عدم الاتساق الزمنى - بتأثيره على التوقعات والمصداقية - قضية

أساسية فى الاقتصادات المتقدمة، كما يقول كالفو، ولكن «معظم الاقتصاديين لابد وأن يتفقوا على أنه أمر ضرورى بالنسبة للأسواق الناهضة وأنه فى الواقع «يفسر السبب فى أن البلدان تعانى من تضخم جامح». ونتيجة للعمل النظرى بشأن عدم الاتساق الزمنى، قللت بلدان كثيرة قدر حرية التصرف المسموح به لصناع السياسة ـ مما جعل البنوك المركزية أكثر استقلالا عن السياسيين وتتبنى أهدافا للتضخم وغايات للاستقرار معلنة على الملأ ويصعب الانحراف عنها.

وقد كان التحدى الأساسى التالى الذى واجهه كالفو هو شرح التطورات التى لا تنسجم مع النظرية السائدة عن التوازن العام، التى تستخدم معادلات رياضية لتبين كيف يعمل الاقتصاد بأسره معا. وقد خفضت الأرجنتين ـ التى ظلت أزماتها الاقتصادية العديدة باستمرار مصدر إلهام لابنها الأصيل ـ قيمة البيزو بصورة حادة فى عام ١٩٨١. وكان ينبغى أن تتغير الأسعار استجابة لذلك، ولكنها لم تتغير. واتجه كالفو، وهو يحاول فهم السبب إلى النماذج التى استحدثها زميلاه، فى جامعة كولومبيا، ادموند فيلبس وجون تيلور. فقد حاولت نماذجهما، التى كان كالفو قد رفضها من قبل، إدراج ما سمى بالأسعار والأجور الجامدة، التى تقاوم التغير حتى لو تغيرت الظروف الأساسية. وقد وجد كالفو فى البداية أن النماذج «معقدة للغاية» ولكنه فيما بعد «بسّطها بطريقة أصبحت معها لعبة أطفال» لتفسير الأسعار الجامدة فى نموذج توازن عام. وكما يقول فقد استغرق بحث ١٩٨٣ وقتا لترسيخ جذوره، لأن زملاءه ظلوا يحاولون تفسير التطورات باستخدام النموذج المعيارى بالأسعار والأجور المرنة. ولكن بحلول التسعينيات من القرن الماضى، كما ذكر روبرتو ريجوبون من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا أصبح نموذج كالفو هو «حصان الشغل» بالنسبة للاقتصاد الكلى.

وربما يمثل مفهوم عدم الاتساق الزمنى وإدراج الأسعار الجامدة فى نظرية التوازن العام، أبرز إسهامات كالفو فى نظرية الاقتصاد الكلى، ولكن اهتماماته كانت واسعة و«تجول عبر كافة أنحاء المشهد الاقتصادى»، كما قال كارلوس رودريجز، زميله فى جامعة كولومبيا فى السبعينيات من القرن الماضى ورئيس جامعة دل سيما فى بوينس أيرس حاليا. وقد أنتج كالفو أبحاثا نظرية تدور، ضمن أشياء أخرى، حول استخدام القدرة، والسلم الهرمى فى المنظمات، والبطالة الهيكلية، والتجارة الدولية، وأسعار الفائدة الحقيقية وأسعار الصرف الحقيقية، بل واقتصاد العدالة.

وجود صوته

فى عام ١٩٨٦، وبعد ١٣ عاما فى كولومبيا، انتقل كالفو على جامعة بنسلفانيا. ولكن ذلك كان تغييرا قصير الأمد فى المشهد. فقد أغرى جاكوب فرينكل، الذى كان حينذاك مديرا للبحوث بصندوق النقد الدولى، كالفو على الانتقال للصندوق، حيث كتب بين ١٩٨٨ و١٩٩٤، عدة أبحاث عن أسعار الصرف، والأسواق الناهضة، والانتقال فيما بعد العهد السوفيتى فى أوروبا الشرقية من الاقتصادات الموجهة إلى الاقتصادات الأكثر توجها نحو السوق. وفى الصندوق، كان انطلاق اهتمام كالفو بالقضايا السياسية، كما يقول كثيرون من زملائه. ولكنه تردد قليلا. ويذكر «لقد استغرق الأمر منى وقتا طويلا لأجد صوتى الخاص. لقد كنت على الدوام منشغلا بهذه القضايا السياسية، ولكن لم يتوافر لى ما يتطلبه القيام بذلك بنفسى. وقد أتاح لى الصندوق الفرصة للعمل فى مناخ تنزع فيه إلى التعاون على نحو أكبر، لأنه مناخ بيروقراطى. إن التعاون أمر أساسى. وقد جئت من دوائر أكاديمية، حيث المنافسة هى الشعار، وحيث تذهب الجوائز للتفرد والأصالة».

وفى الصندوق، تعاون مع عدد من الباحثين الشبان أساسا ـ من بينهم كارلوس فيغ، وانريك مندرزا، وجويدوتى، وليدرمان، ورانيهارت. وعمل مع جويدوتى فى قضايا الدين العام، مما أدى إلى عمله اللاحق عن دولرة الخصوم. وانجز مع فيغ نموذج السعر الجامد. وعمل مع مندوزا فى قضايا التجارة. وكما قال تالفى، وهو معاون أحدث له ولم يكن زميلا له فى الصندوق فقد كانوا « يعرفون بأنهم أولاد وبنات كالفو».

ولم يكمل أى من أولاد وبنات كالفو مجموعة مهارات أفضل مما فعل راينهارت ـ وهو حاليا أستاذ فى جامعة ماريلاند ـ الذى يسميه «خبير رائع فى الاقتصاد القياسى التطبيقى واقتصادى من الدرجة الأولى». وقد تعاون الاثنان فى عدد من المشروعات، بما فى ذلك بحث عام ١٩٩٣ الذى كتباه مع ليدرمان والذى فند الاعتقاد السائد بأن بلدان أمريكا اللاتينية كانت تتلقى تدفقات وافدة كبيرة من رأس المال بفضل إصلاحاتها الهيكلية وسياساتها النقدية والمالية السليمة.

«لقد ذهبت إلى أمريكا اللاتينية، وكان الجميع يرددون الشىء نفسه ـ وهو أن النقود تتدفق إليها لأن (البلدان) تفعل الشىء الصحيح. ولكن بيرو كانت تحصل على قدر كبير من النقود وكان بها [تمرد] الدرب المضىء. وكان لدى بعض البلدان أسعار صرف ثابتة، فى حين كانت هذه الأسعار معومة فى البعض الآخر. ومن ثم، فقد نظرت حولى وفكرت فى أنه يوجد شىء مريب هنا. فالجميع يحصلون على النقود ويفعلون أشياء مختلفة، ولا تقولوا لى أنها ليست جميعها على ما يرام». وعاد كالفو إلى واشنطن وأخبر راينهارت أنه مقتنع بأن هناك عاملا مشتركا وأنه عامل خارجى. وجندا ليدرمان وبحث ثلاثتهم عن «مبعث الشكوك المعتادة»: أسعار الفائدة فى الولايات المتحدة ودورة الأعمال فيها. وكما أوضح كالفو فقد «ظل كل شىء على ما هو عليه».

ولم يكن قيام الصندوق بنشر بحثهم (والبحث اللاحق بنفس الطريقة) دليلا على أن المؤسسة توافق على ما توصلوا إليه. ويقول كالفو إنه فى الواقع، تلقى ثلاثتهم «قدرا كبيرا من نيران المدفعية المضادة للطائرات» من زملائهم. ولكن

اسم اللعبة

أظهر جويلرمو كالفو وزملاؤه براعة شديدة فى صياغة أو ترويج بعض العبارات التى يستخدمها الاقتصاديون وحتى غير المتخصصين، ومنها:

التوقف المفاجئ: انهيار كبير، غير متوقع، وواسع المدى فى تدفقات رأس المال، وغالبا لا يرتبط بالأساسيات الاقتصادية لبلد ما، وعادة يكون مدمرا بدرجة كبيرة. وتختصر هذه الظاهرة أحيانا بـ (3S)، أى التوقف المفاجئ للنظام (Systemic sudden stop) لتأكيد الطبيعة واسعة المدى للمشكلة أثناء الأزمات.

خوف التعويم: تحاشى بلد ما السماح للسوق بتحديد قيمة عملتها (التعويم الحر) لأن كثيرا من الشركات والأفراد لها أصول وخصوم مقومة بالدولارات بحيث يؤدى أى خفض فى قيمة العملة إلى الإضرار بشكل خطير بهؤلاء الذين لم يقوموا بتغطية أوضاعهم. وقد نشأ هذا المصطلح فى بحث يحمل نفس الاسم كتبه كالفو ورينهارت عام ٢٠٠٢.

معجزة العناقيد: اقتصاد «ينهض من بين رماد» انهيار فى الإنتاج بسبب حدوث توقف مفاجئ وبصفة عامة يستعيد الاقتصاد مستوى إنتاجه قبل الانهيار خلال عامين ولكنه لا يعود إلى مسار نموه طويل الأمد. وهذا المصطلح مأخوذ من اسم الطائر الأسطورى الذى التهمته النيران ثم انبعث من جديد من بين الرماد.

من المؤكد كثيرا أن أسعار الفائدة فى الولايات المتحدة بدأت ترتفع. وفى ديسمبر ١٩٩٤، تفجرت ما تسمى بأزمة التاكيلا فى المكسيك بعد أن خفض هذا البلد عملته بصورة حادة. ودفعت الأزمة كالفو إلى إنتاج محموم للأبحاث، وسرعان ما خلص إلى أنه على الرغم من أن مشاكل المكسيك قد أشعلها تخفيض قيمة العملة، فإنها لم تكن تعانى من أزمة عملة بل من أزمة فى سوق رأس المال - حيث تجمع الشركات والحكومات أموالا طويلة الأجل. وقد أكد فى بحثه التالى بعنوان «تشكيلات من أزمات سوق رأس المال» بصورة جوهرية على أن المكسيك

«إذا كان الكساد الكبير قد حدث نتيجة لعدم كفاءة البنوك المركزية، كما يعتقد اقتصاديون كثيرون، فإن جذور الأزمات فى الأسواق الناهضة تكمن فى عجز البنوك المركزية».

ليست ظاهرة منعزلة. وقال إن كثيرا من الأسواق الناهضة معرضة بطرق مختلفة لمخاطر أهواء المستثمرين الدوليين بسبب عدم تطور القطاعات المالية، وتعرض القطاع المصرفى باستمرار لخطر ذعر المودعين، وظاهرة «العدوى» - التى لا يميز فيها المستثمرون بين الأسواق الناهضة ولكنهم يسحبون الأموال دون اعتبار للظروف السائدة فى البلدان فرادى.

وقد ركزت نظريات كالفو على القطاع المالى باعتباره مصدر عدم الاستقرار. وعند إدخال القطاع المالى فى النموذج، تتوافر طرق نظرية كثيرة يمكن بها مهاجمة بلد ما، كما قال ميجويل كيجويل، وهو اقتصادى أرجنتينى كان تلميذا لكالفو فى جامعة كولومبيا فى مطلع الثمانينيات. وقد تكون البنوك أكثر أهمية «من عجز الميزانية أو عجز الحساب الجارى». وما افترضه كالفو أصبح الآن حكمة شائعة كما يقول ريجوبون، ولكن ذلك كان حينذاك أمرا راديكاليا. وقال «إن ذلك يشبه فيلما لألفريد هتشكوك. وقد لا تبدو المؤثرات الخاصة شبيهة بما هى عليه الآن»، ولكنها كانت رائدة لمسيرة عندما ظهرت. وقال إن أبناء المهنة، مثلهم مثل نموذج كالفو فى ١٩٨٣، كانوا بطيئين إلى حد ما فى تقدير رؤاه المتبصرة التى طرحها فى ١٩٩٦. وقد أدى نشوب الأزمات المالية الآسيوية فى ١٩٩٧ والأزمات اللاحقة فى أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية إلى إقناع كثير من الاقتصاديين بأن الأسواق الناهضة تواجه مجموعة خاصة من المشكلات التى ترسخت جذورها فى النظام المالى.

ويعترف كالفو أنه ظل على مدى سنوات على خلاف فى التحليل مع صندوق النقد الدولى، ولكنه خلال الوقت الذى أمضاه فى المؤسسة توفرله الدعم والوقت اللازمان للقيام بأبحاثه. ويقول «تأمل عدد الأبحاث التى كتبتها. إننى لم أتوقف مطلقا عن كتابة الأبحاث». ولا يزال مستمرا فى كتابتها بوتيرة مذهلة. وقد قال صديقه وزميله رودريجيز «إنه لا يزال يفكر فى الأمور ويعالجها من خلال الأبحاث. فعندما تراوده فكرة، يكتب بحثا. ومعظم الناس يتحدثون عنها أثناء الغداء، فى حين يكتب جويلرمو بحثا».

ولذا كان من المناسب فى عام ١٩٩٤، عندما كرم الصندوق كالفو، رغم الخلاف المؤسسى طويل الأمد فى الماضى، أن قام بدعوة العديد من زملائه للإسهام بأبحاث فى ندوة استمرت يومين للاحتفاء بقيادته الفكرية فى مجالات تدفقات رأس المال، وآجال استحقاق الديون، وتثبيت التضخم، وذلك من بين قضايا أخرى. وقد أوضح أوجستين كارستنز، نائب المدير العام حينذاك، ووزير مالية المكسيك حاليا، «أن قدرة جويلرمو على اختزال المشاكل المعقدة إلى عناصرها الأولية علمنا أن النماذج المعقدة هى للعقول الأقل شأنا ... فعلى يدى جويلرمو، أفرزت فوضى الواقع دائما نماذج بسيطة ومضيئة».

ملء الفراغات النظرية

كان المناخ الخارجى هادئا فى معظم هذا العقد، وطفقت البلدان النامية تنمو من جديد. ولكن كما يقول كالفو، فإن خطر الأزمة لا يزال قائما، وليس لدى النظرية الاقتصادية الكلية سوى القليل لتقدمه لصناع السياسة إذا عاد التوقف المفاجئ. «إن النظرية الكلية المعيارية التى ندرسها فى الكليات حاليا ليست هى النظرية التى أوحى بها الكساد الكبير. لقد أوحى بها الاستقرار الكبير الذى أبدته الولايات المتحدة عبر هذا العدد الكبير من السنين».

وقد وجد كالفو وزميلاه اليخاندرو ازكويردو وتالفى انعكاسات مذهلة للكساد الكبير الذى حدث فى الثلاثينيات عند إجراء بحوثهم بشأن الورقة التى أعدوها فى ٢٠٠٦ حول ما وصفوه «معجزة العنقاء» - أى القدرة التى يتعذر مقاومتها على ما يبدو للاقتصادات المتخلفة على «النهوض من بين رماد انهيار مثير فى الإنتاج بسبب حدوث توقف مفاجئ. وقد وجدوا أوجه تماثل قوية بين الظروف المحيطة بالأزمات الحديثة فى الأسواق الناهضة والكساد الكبير. فقد عادت الاقتصادات المدمرة إلى مستوى إنتاجها قبل الانهيار فى بضع سنين، ولكنها لم تعد لمسار النمو الذى كانت عليه قبل الأزمة.

وهناك مشكلة مهمة بالنسبة لاقتصادات الأسواق الناهضة، هى أن بنوكها المركزية عاجزة غالبا عن المساعدة كثيرا. وتجعل التقلبات الكبيرة فى أسعار الفائدة التى تصحب الاضطراب عادة الأدوات المعيارية التدريجية للسياسة النقدية غير فعالة. ونظرا لأن الأسواق المالية المتخلفة تضطر الشركات والحكومات إلى الاقتراض بكثافة بالدولار والعملات الأجنبية الأخرى، فإن قدرة البنوك المركزية على إبقاء النظم قادرة على الوفاء بالتزاماتها إبان الأزمات عن طريق تحولها إلى مقرض الملاذ الأخير، هى قدرة محدودة. كما ينتاب البلدان عادة «خوف جدى من تعويم» عملاتها، لأن تخفيض قيمة العملة بصورة كبيرة يدمر الشركات التى تدين بالدولارات لكنها تحقق مكاسبها بالعملة المحلية. وإذا كان الكساد الكبير قد حدث نتيجة لعدم كفاءة البنوك المركزية، كما يعتقد اقتصاديون كثيرون، فإن جذور الأزمات فى الأسواق الناهضة تكمن فى عجز البنوك المركزية.

ويأمل كالفو فى مساعدة صناع السياسة فى الأسواق الناهضة باستغلال الهدوء الحالى لوضع أساس نظرى جديد للسياسة النقدية فى البلدان التى تكون النظم المالية فيها متخلفة ولا يوجد بها فعليا مقرض للملاذ الأخير. ويقول «إن مجموعة فنية لطيفة ومحيطا هادئا لا يجعلان بنكا مركزيا يحتل مكانة أولى عالميا. فذلك ليس بكاف». ■

حيمس ل . رو أحد العاملين فى هيئة تحرير مجلة التمويل والتنمية.

المراجع:

Chari, V.V., and Patrick J. Kehoe, 2006, "Modern Macroeconomics in Practice: How Theory Is Shaping Policy," Journal of Economic Perspectives, *Vol. 20 (Fall), pp. 3–28.*

Mendoza, Enrique, 2005, "Toward an Economic Theory of Reality: An Interview with Guillermo A. Calvo," Macroeconomic Dynamics, *Vol. 9 (February), pp. 123–45.*